أمثلة من الترجمة

Michael Sommer
Syria. Geschichte einer zerstörten Welt

Klett-Cotta Verlag, Stuttgart 2016
ISBN 978-3-608-94977-3

صفحات 63-77

ميشائيل زومر
سوريا. قصة عالم مدمر

ترجمة ريما شاهين

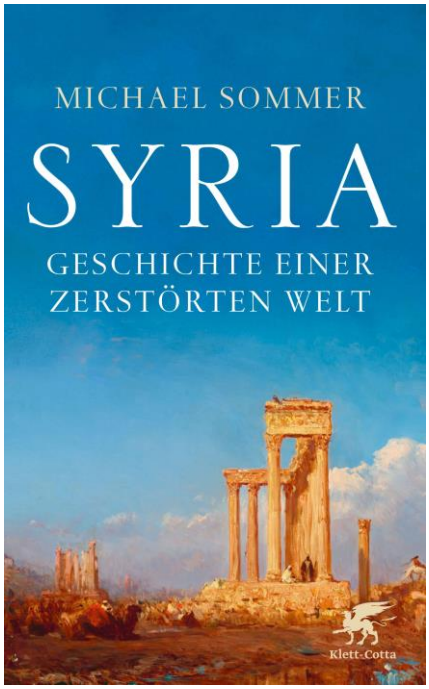

© 2016 Litrix.de

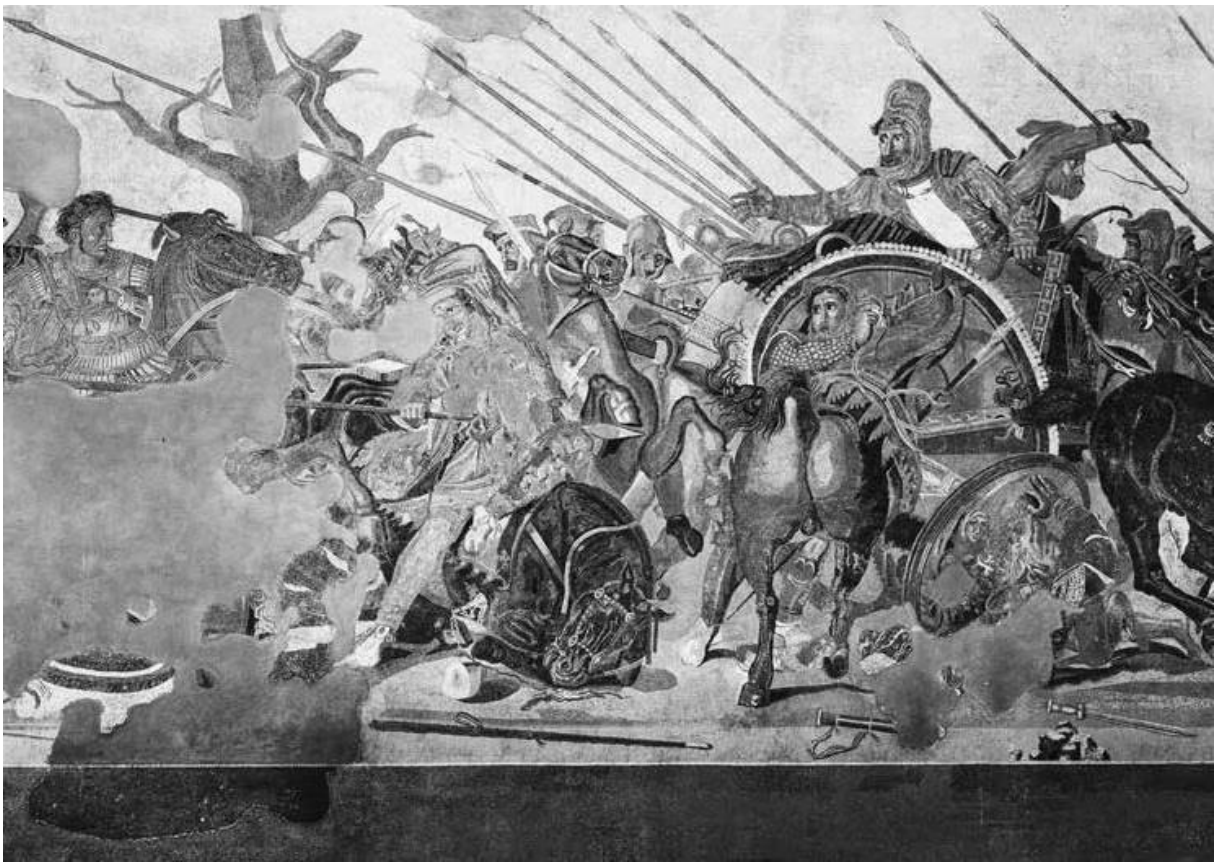

٣. إسوس

البطل الذي جاء من الغرب

لا تعد مدينة إسوس التابعة للعصور القديمة من المدن التي اعتادت أن تشهد أحداثاً تاريخيةً هامة. تمتد هذه المدينة منذ القدم على ضفاف النهر الصغير بيناروس والذي يَصْب في خليجٍ يشبه كيسًا بالقرب من المنطقة الجبلية في جنوب الأناضول. سمّى الإغريق هذا الخليج على إسم إسوس ويحمل في وقتنا الحاضر إسم المدينة التركية الصغيرة إسكندرون. يحدثنا المؤرخ والفيلسوف كسينوفون، بأن إسوس كانت مدينة تجارية مزدهرة في القرن الرابع قبل الميلاد. سوى هذه المعلومة لم تذكر المراجع أي شيء عن هذه المدينة.

بوابة نحو الشرق

ولكن بالتأكيد: إسوس هي البوابة إلى سورية. الظرف الذي جعل من هذه المنطقة مسرحاً لفصلٍ هام من تاريخ العالم هو توضع إسوس في وسط منطقة ساحلية ضيقة تقع بين الكتلة الجبلية الضخمة الأمانوس والبحر. كانت هذه المنطقة الطريق الأقل صعوبة المؤدي إلى سورية من آسية الصغرى وبالعكس؛ فلقد حاول عددٌ من الجيوش منذ العصور القديمة اقتحام مناطق في كلا الجهتين عن طريق إسوس. وعلى العكس من ذلك فإن هذه المنطقة قد وفرت إمكانية ردع الهجوم القادم من

© 2016 Litrix.de

الطرف الآخر. وهذا ما حاول فعله مغتصب العرش الروماني بيسينيوس نيغر عام ١٩٣ ميلادي في الحرب الأهلية ضد منافسه سبتيموس سيفيروس – دون نجاح: تمكن جنود سيفيروس من اقتحام سورية وأخفقت عملية نيغر.

قبل نحو ٥٠٠ عام من سيفيروس تم تحقيق إنتصار في إسوس من قبل شخصٍ أعظم وهو الإسكندر المقدوني، الذي ورث الحكم عن أبيه فيليب منذ عام ٣٣٦ قبل الميلاد وحكم المملكة الصغيرة في أطراف العالم الإغريقي. حتى أن بعض الأطفال في وقتنا الحاضريتعلمون في المدرسة المقولة: "ثلاثة - ثلاثة - ثلاثة، الصراع في إسوس". ففي أواخر خريف عام ٣٣٣ قبل الميلاد انتصر الإسكندر على الملك الفارسي داريوس الثالث وشكل هذا الإنتصار حقبة تاريخية مهمة بالنسبة للعصر القديم ومنعطفًا سياسيًا في غرب ووسط آسيا، شعر به عملياً كل إنسان عاش بين مضيق البوسفور ونهر السند وذلك بشكل مباشر أو غير مباشر. بعد الصراع في إسوس لم يبق شيء على حاله كما كان قبل مئات السنين .

لهذا تحديدًا اعتبر علم التاريخ القديم الإسكندر الكبير بداية لحقبة تاريخية جديدة وهي "الهيلينستية". جاء بهذا المصطلح عالم التاريخ الألماني يوهان غوستاف درويزن (١٨٠٨-١٨٨٤)، الذي كتب في شبابه سيرة حياة الإسكندر، وليجعل منه موضوعاً "عولميًا" جديداً يتناسب مع العصر الحديث لجأ إلى المصطلح الإغريقي هيلينيسموس. الهيلينيسموس هو مصطلح دال على جماعة، استُخدم في العصر القديم للدلالة على اليهود الذين تكلموا اللغة الإغريقية. استخدم درويزن مصطلح الهيلينستية للدلالة على التركيبة الكبيرة التي حققها الإسكندر في جمع الغرب والشرق ولمدة طويلة شكلت القاعدة الأساسية لانتشار الدين المسيحي. بالرغم من أنّ هذه الفرضية غير مسلم بها في الوقت الحاضر، بقي مصطلح الحقبة الهيلينستية ثابتًا في المجالات البحثية. وبذلك يعتبر في واقع الأمر أن نصر الإسكندر في إسوس قد فتح الباب إلى عالمٍ جديد.

على كل حال، في البدء على كل حال لم تكن المعركة حدثاً هاماً يهتز له العالم، بل تحدياً تكتيكياً. لقد وجدوا أنفسهم أمام حالة غريبة من لقاء الجبهات المتعاكسة. حيث أنه دون أن ينتبه أحدهما إلى الآخر مر الجيشان في اتجاهين متوازيين ولكنهما متعاكسين: الإسكندر مع جنده الإغريقيين والمقدونيين ساروا على امتداد الشط باتجاه الجنوب، وداريوس مع جنده الفرس اجتازوا نهر الأمانوس باتجاه الشمال. كان الفرس في الموقع المريح أي أنهم يستطيعون قطع الإمدادات عن جيش الإسكندر. لغاية الخامس من تشرين الثاني كان الجيشان مستعدين للمعركة: الفرس الذين كانوا يشكلون على الأقل ضعفي قوة جيش الإسكندر، احتشدوا على الضفة الشمالية لنهر البيناروس مع فرسانهم الأقوياء على الجناح الأيمن المواجه للبحر. يواجههم كتيبة المشاة المقدونية التابعة للإسكندر في الجنوب، وتجمعت نخبة الجيش المقدوني في الشرق عند سفح جبل الأمانوس. في هذا الموقع تمكن الإسكندر من إختراق جبهة العدو والهجوم على مركز الجيش الفارسي. فانتهت المواجهة بهزيمة داريوس وهروبه من ساحة القتال .

الإسكندر ربح معركة ولكنه لم يربح الحرب. لهذه الغاية كان عليه أولاً أن يحتل مصر وبلاد الشام ومن ثم أن ينتصر على داريوس في المعركة الثانية في غوغاميلا عام ٣٣١ قبل الميلاد. وأخيراً كان عليه أن يطارد ملك الفرس المهزوم عبر الأراضي الإيرانية العالية ولغاية مدينة هيكاتومبيلوس والتي يطلق عليها اسم مدينة المئة باب. هناك قضى داريوس نحبه على يد قاتل وأصبح الإسكندر سيداً على إمبراطورية الفرس أو بالأحرى على ماتبقى من هذه الإمبراطورية. فلم يكن المقدوني بشكلٍ خاص مؤسسًا لإمبراطورية عظيمة، بل مخربًا. فالإسكندر لم يحكم إمبراطورية بالمعنى الحقيقي وإنما مجموعة من الساترابين (ولايات). جزء من حكامها كانوا في عهد داريوس وأبقى عليهم الإسكندر، والجزء الآخر قام بتعيينهم الإسكندر بنفسه. لكن ولاء هؤلاء الحكام كان مرتبطًا تقريباً بشكلٍ دائم بمقدار بُعد أو قرب الإمبراطور.

إن وفاة الإسكندر في بابل في العاشر من حزيران عام ٣٢٣ قبل الميلاد، حيث مات ضحيةً لحياته الماجنة، كشف عن أن هذه الإمبراطورية غير قادرة على التماسك لفترة طويلة وأن إمكانية الإندماج فيها ضعيفة وقوة السيادة منخفضة. "الأقوى"، يقال إنها كانت إجابة الإسكندر عندما سُئل على فراش الموت، مَن مِن القادة العسكريين الأجدر بالخلافة. وأتبع قائلاً: "ستقام مباريات اقتتال كبيرة حول جثتي". وبالفعل: استمر الصراع نصف قرن تقريبًا بين المقربين من الإسكندر وهم الخلفاء، في محاولة لهم لكسب أكبر قدر ممكن من إرث الإسكندر. استقلت ثلاث إمبراطوريات كبيرة وعدد من الإمبراطوريات المتوسطة الكبر في حروب الخلفاء. وتراجعت سلطة المقدونيين في الشرق بسرعة كبيرة – لقد وصلت حدود إمبراطورية الإسكندر إلى الهند .

أرض جديدة

نشأت إمبراطورية سلوقس في بابل عام ٣١٢ قبل الميلاد كنموذج مصغر عن الإمبراطورية الفارسية القديمة. لقد كان سلوقس قائد الحرس الشخصي للإسكندر. إمبراطوريته كانت إلى حدٍ بعيد الأكبر والأغنى بين الإمبراطوريات الجديدة. توضعت المناطق الأساسية لهذه الإمبراطورية في سورية وبلاد ما بين النهرين وهناك بالتحديد حاول السلوقيون تركيز حكمهم. والدليل على ذلك الهجرة الجماعية لمستوطنين مقدونيين وإغريق. كان توقهم للحصول على أرضٍ لهم كبيرًا بمقدار شكرهم للملوك السلوقيين. أسس الإسكندر العشرات من المدن التي حملت إسمه وأخرى نعتت بأسماء رنانة مثل بروفثاسيا وتعني "المتنبئة" أو مثل مدينة إيشاتا وتعني "النائية" وتقع في سفوح جبال بامير. في البداية استقر هناك جند الإسكندر القدامى. لكن لم تمتلئ هذه المدينة بالحياة الحقيقية وكذلك عدد لا يحصى من المدن التي أسسها سلوقس وخلفاؤه إلا بعد أن بدأ السلوقيون باستقدام مستوطنين من اليونان ومقدونيا ليملأوا إمبراطوريتهم بالرعايا المخلصين وجيشهم بالجنود الشباب.

كان كل من استقر في سورية أو بلاد ما بين النهرين قد جلب معه آفاقاً ثقافية وإجتماعية من خبراته. البوليس، وهو المدينة ذات الإدارة المحلية الإغريقية الذاتية والمستقلة، كان النموذج السياسي والإجتماعي الذي نظم القادمون الجدد أنفسهم على أساسه. فبنوا معابد لآلهتهم، مارسوا الرياضة في صالة للألعاب الرياضية والتجارة في الساحة المركزية (الأغورا)، وذهبوا إلى المسارح وبالطبع تنافسوا على المناصب السياسية في الدولة. عملوا لصالح مجتمع البوليس إذا توفرت عندهم الإمكانية لذلك، واعتبر عملهم كفعل خير وبمثابة رأس مال إجتماعي يترجم في أي وقت إلى شرف ونفوذ سياسي، وهو العملة الأهم في المدن الإغريقية .

كل إغريقي أو مقدوني قدم إلى آسيا جاء بهدف جمع المال السريع. لم يأت المستوطنون من الغرب إلى أرض بكر، فالمنطقة كانت مسكونة وملك لسكانها. الملوك السلوقيون ورثة الإسكندر وجدوا في أنفسهم مالكين كل أرض حصل عليها المقدونيون "بالرمح". كانت هذه المنطقة بالنسبة لهم مشاعًا، لهم فيها حرية التصرف وإعطائها للآخرين. كان هذا عرضاً مغرياً وساحراً لكثير من سكان منطقة بحر إيجا التواقين للحصول على مزيد من الأراضي، فانطلقوا في رحلة إلى الشرق. لدى وصولهم، توقعوا أن في انتظارهم نسبياً أجواء فردوسية: كل قادم كان ينسب بشكل تلقائي إلى نخبة ذات وضع خاصة، أي قادرة أن تجعل الآخرين يعملون عندها. فالذين كانوا يعملون في حقول الأجانب من الطبقة الغنية في عهد الفرس، أصبحوا الآن يقومون بذلك للأسياد الإغريقمقدونيين الأجانب. كسكان قادمين من أطراف المنطقة أو كأناس أقل سوية لم يكن لهم أدنى حصة في حياة البوليس السياسية والاجتماعية.

عندما انطلق الإسكندر بحملته ضد الفرس، كان المخطط المتقن لبرنامج البيئة الحياتية الضخم قد وضع مسبقاً. ففي عام٣٨٠ قبل الميلاد دعا الخطيب الأثيني إيسوقراط شعبه الهيليني لحرب نهبٍ وإحتلال للإمبراطورية الفارسية ضمن خطبة إحتفالية. حكم الإمبراطور الفارسي الكبير إمبراطوريته الواسعة بفضل جيشه، الذي يعد من أكبر من أي جيش يمكن للشعوب التابعة له حشده، وليس نتيجة حب رعيته له. "إذا استطاع الإغريق حشد جيش أقوى من الجيش الفارسي لتمكنوا من نهب آسية كلها دون الخوض في المخاطر". الخطبة التي ألقاها إيسوقراط، وعلى الأرجح بمناسبة الألمبياد، كانت بمثابة مخطط لحروب الإسكندر وللإستعمار اللاحق للمنطقة. لكن إيسوقراط عنى بخطبته الأثينيين الذين عليهم تولي القيادة وليس المقدونيين.

بالتأكيد: لم يقم الإسكندر والملوك السلوقيون بحملتهم من منطلق الحرص على الإغريقيين المعذبين الباحثين عن أرض جديدة، وليس بدافع الحماسة التبشيرية. ولم يتقصدوا نشر اللغة وأسلوب الحياة الإغريقية في غرب آسية. حتى أنه لم يكن هدفهم إيجاد تركيبة من الشرق والغرب مثل الحضارة والثقافة الإغريقية-الفارسية المشتركة، كما كان قد نسب للإسكندر، فقبل مماته بفترة قصيرة في عام ٣٢٤ قبل الميلاد أمر حاشيته بالزواج من نساء فارسيات تابعات للطبقة الحاكمة. فالحدث التاريخي "العرس الجماعي في شوشة" هو ليس إجراءً سياسيًا ثقافيًا بل تحديد مسار إستراتيجي. فإذا أراد الإسكندر فعلاً أن يشكل من المقاطعات التي إحتلها إمبراطورية، فهو بحاجة إلى نخبة متجذرة في كلا العالمين .

لم تنجح هذه التجربة بتاتاً: فحالما توفي الإسكندر في بابل ولم تكن جثته قد بردت بعد، طلّق كل المقدونيين زوجاتهم الفارسيات بعد أن كانوا للتو قد تزوجوا. يستثنى من ذلك سلوقس الذي حكم غرب آسية الفارسي. مع ذلك لم يتوصل أو لم يطمح سلوقس إلى إيجاد تركيبة قائمة على الثقافات المختلفة التي سكنت إمبراطوريته. الخليط المدهش للإمبراطورية السلوقية لم يشكل على أي حال الصيغة البسيطة "الشرق مقابل الغرب". أولاً لم يكن الشرق والغرب قبل عهد الإسكندر

صيغتين متضادتين بل مترابطتين بعضها مع الآخر عن طريق علاقات مختلفة. فمنذ حوالي الألف الأول قبل الميلاد إكتشف الفينيقيون البلد البعيد هيلاس حيث وجدوا سوق إستهلاك لإنتاجهم، وكان تاريخ طويل من الصراعات الدورية ومن تبادل البشر والبضائع والأفكار قد ربط بين الإغريق وبلاد الشام. حسن الضيافة والعلاقات التجارية ربطت البشر من طرفي البحر. كانت كورينث وأثينا محطات للتجّار القادمون من بلاد الشام، وبالعكس ذهب الأغريق بشكل متكرر إلى غرب آسية ومصر للعمل هناك كمرتزقة. عندما احتل الفرس نحو 500 ق.م. الشاطئ الغربي من آسية الصغرى، أي عندما احتلوا جزءًا من منطقة يسكنها الإغريق، لم يعد الشرق والغرب غريبين بعضهما عن بعض حتى لو حاول كتاب إغريق مثل هيرودوت أن يقدموا مثل هذا الإنطباع. لا يصلح أن يكون الشرق والغرب متضادين وإنما هما بالتأكيد جزأين من "عالم" مختلط ومتشابك بشكل مذهل وذلك قبل ظهور الإسكندر بزمنٍ طويل .

ثانياً لم يكن غرب آسية وحدة متراصة كما مثلته الرؤية الإغريقية. فلم تكن الإمبراطورية الفارسية سلطة تعسفية على عبيدٍ خنعوا للإرادة المستبدة لملك عظيم. والفرس أنفسهم شكلوا نسبة ضئيلة من الأقليات في إمبراطوريتهم متعددة الشعوب. يظهر النقش الذي يسمى دايفا من القرن الخامس قبل الميلاد أن الفرس كانوا واعين جدًا لمسألة التعددية في إمبراطوريتهم: "يقولها الملك أخشويروش. بمشيئة أهورامزدا هذه هي البلدان التي كنت مَلكها". وتليها قائمة من أكثر من ثلاثين بلدًا وجماعات عرقية منها ميديا، عيلام، فرثيا، باختر، الصغد، بلاد بابل، آشور، إيونية، شبه الجزيرة العربية، مصر وليبيا. الفارسية لم تكن حتى لغة إدارة وتواصل في الإمبراطورية، بل قامت بهذه المهمة اللغة الآرامية السامية الغربية القريبة جداً من اللغة العبرية.

إذاً فالتجاور والتلاحم والتضاد بين الثقافات المختلفة لم يتحقق فقط بعد استلام المقدونيون للحكم من البحر المتوسط إلى إيران، بل كان هذا دائماً جزءًا أساسياً من واقع الحياة في بلادٍ وعرة إثنياً ولغوياً ودينياً. لكن وصول المستوطنين الإغريق-المقدونيين أدى إلى إزدياد التضاد. خاصةً أن البوليس كمؤسسة ذات تنظيم ذاتي مورست فيها حريات أكثر، كذلك حق مساواة المواطنين، فكانت البوليس جسمًا غريبًا في بيئة ذات تقاليد سياسية مختلفة تماماً. فمدن مثل أنطاكية، لاودكية، أفاميا على نهر أورونتِس (العاصي) وسلوقية بييريا، شكلت بمؤسساتها وعمارتها ونمط حياتها بوليس يتطابق تماماً مع البوليس الموجود في الدولة الأم الهيلينية. ولم يجمعها إلا القليل بالمدن التي تطبّعت بها منطقة الشرق الأدنى لغاية العهد الفارسي. مدينة بابل القديمة والتي كانت منذ مئات السنين مقرًا للحكم، اختلفت تماماً ببنيتها الوظيفية عن المدينة المجاورة لها سلوقية التي تأسست على ضفاف نهر دجلة، حيث اتخذ السلوقيون مقرهم في وسطٍ من مواطني البوليس. "مدينة مؤسساتية بكل ما تعني الكلمة، لم يعرفها سوى الغرب كظاهرة جماهيرية"، هذا ما صاغه ماكس فيبر بأسلوب تصنيفي في مقطع من دراسته بعنوان *المدينة*. ويحدد بشكل غير واضح: "بالإضافة إلى جزء من الشرق الأدنى (سورية، فينيقيا، وربما بلاد مابين النهرين) وذلك فقط لفترة مؤقتة، غير ذلك كان مقاربات". الإبتكار الرئيسي الذي جاء إلى الشرق مع قدوم المستوطنين من الغرب هو حقوق المواطن: فجأة أصبح المواطنون في كل مكان، في حين كانوا من قبل الخانعين، وشكلوا شريحة من السكان ذوي القوة الإقتصادية والمكانة الإجتماعية المرموقة والنفوذ السياسي. هذا جعلهم عرضة للحسد من قبل السكان المحليين، لكنهم أصبحوا أيضاً قدوة لهم يحتذون بهم. وأصبح نمط الحياة الإغريقية والقدرة على التوافق مع الفكر الإغريقي رمزاً للطبقات الراقية عند السكان المحليين. أن يكون المرء إغريقيًا لا يعني تصنيفه عرقياً أو إثنياً. المقصود بالإغريقي المظهر. يصبح المرء إغريقياً عندما يتحدث اللغة الإغريقية، يرتدي الزّي الإغريقي، يتعلم كيف يفكر كالإغريق، ويتبنى العادات الإغريقية. كانت تذكرة الدخول ليصير المرء إغريقيًا هي التربية والتعليم—أي تشكيل الإنسان منذ مرحلة الطفولة على الصورة المثالية الإغريقية وهي كفاءة الإنسان في أداء المهام التي ستواجهه .

التعليم للجميع؟

هناك أيضاً شيء آخر جلبه القادمون الجدد معهم من الغرب: ذاكرتهم. هذا ماتبوح به أسماء المدن. إذا لم تكن المدن قد سميت بأسماء أتباع حاكم البلاد، حسبما كان معتاداً منذ عهد الإسكندر، عندها أُعطَوها أسماءً تذكر بالمدن الموجودة في موطن الإغريق والمقدونيين: بيلا، أوروبوس، إذيسا، لاريسا، أمفيبوليس. في وقت لاحق أو عاجل رووا حكايا عن نشأة مدنهم ونسبوها إلى الجغرافية الذهنية للعالم الإغريقي. هذه الحكايا أُدرجت في مخزون الذكريات التي سماها الإغريق أساطير، ساعدتهم كلما شاؤوا في تحديد موقع الأنا تجاه الآخر. فسمي الملك سلوقس الأول الذي أسس مدينة دورا أوروبوس، تقريباً على منتصف نهر الفرات، بالمؤسس العظيم وكان يعتبر من العظمة بمستوى الآلهة. طبعاً السكان الأصليون لبلاد ما بين النهرين وسورية لا مكان لهم في الأساطير، إنهم البرابرة، الآخرون، الأجانب، وهم سكان المنطقة قبل وجود الإغريق فيها

بزمن بعيد. كان المفتاح الذي يسمح بالإنتماء للأساطير هو التربية والتعليم، ومَن حصل عليهما، سواءً كان من مصر أو بلاد مابين النهرين أو إيران، استطاع أن يسهم في الحكايا ويثري الأساطير برؤىً جديدة، وذلك طبعًا باللغة الإغريقية .

إن وصف الإحتلال المادي والمعنوي للشرق الأوسط من قبل الإغريق بمصطلح هيلينية يعد وصفًا قاصرًا. بالنظر إلى الشكل العام لغرب آسيا نرى فعلياً آثار المرحلة الهيلينية السطحي على المنطقة: مؤسسات إغريقية، أسماء مناطق إغريقية، اللغة إغريقية ونمط الحياة للطبقة الراقية كان إغريقيًا. وهذا ما توثقه الآثار المتبقية من ذلك الزمن: تبوح نقوشٌ مكتوبة باللغة الإغريقية على وجه الخصوص عن نماذج التعامل وطرق التفكير على الأقل عند الطبقة الراقية والتي عرفناها مسبقاً في اليونان القديمة. أيضاً العمارة وعادات الدفن تعتبر شواهد على القوة المعيارية للتقاليد الإغريقية. حتى الفخار تغير شكله جذرياً خلال فترة قصيرة. وتظهر لنا تنقيبات في مدينة أوروك في جنوب بلاد ما بين النهرين كيف أنّ الأمهات في بلاد بابل قد اتخذن من الطريقة الإغريقية نموذجاً لتقديم الطعام بأسلوب جيد. وهكذا تغيرت سلوكيات الإستهلاك وعادات الأكل وحتى تقنيات الطهي في المطبخ .

و هكذا نرى أنّ معركة إسوس تمثل فعلاً نقطة تحول كبرى في تاريخ غرب آسيا. بسبب هذه المعركة والهيمنة المقدونية لم تتغير فقط الخريطة السياسية للمنطقة الواسعة بل أيضاً نمط الحياة اليومية لعدد لا يحصى من البشر من البحر المتوسط ولغاية المرتفعات الإيرانية. وأعطت المجال لتوسع الحضارة والثقافة الجماعية الإغريقية في أنحاء العالم المعروف آن ذاك ولغاية الهند. لكن عملية المطابقة، حيث شكلت معركة إسوس الإفتتاحية لها، كانت أكثر تعقيداً مما قد يتصور المرء بشكل سطحي: لم تكن بشكل مستمر بل متقطع، ولم تكن ذات اتجاه واحد بل متصالبة ذاتياً بين التكييف والتبني، وليس فقط من الأعلى إلى الأسفل لكن أيضاً في الإتجاه المعاكس. وضع المهاجرون القادمون من الغرب إطار التغيير سياسياً وإقتصادياً لكنهم لم يفرضوا ثقافتهم على السكان الأصليين. بل على العكس: أن يكون الإنسان إغريقياً كانت سمة جذابة على الأقل لذوي الحال الجيد في المجتمع وكانوا تواقين للبايدايا أي التربية والتعليم أو ماكان يعني لهم هذا المصطلح. فالجديد بجمالياته ومضمونه تم تفضيله لكونه قابلًا للتأويل وللإنتقائية في تبني صفاته. أثبت المواطنون الجدد في العالم القديم وبشكل متكرر الإبداع الملحوظ في التأقلم مع التقاليد الأجنبية. بمعنى تشابه السكان الأصليين مع الزبائن الذين يذهبون للمتاجر للتبضع وبيدهم لائحة المشتريات بما يرغبون ويحتاجون. تأقلم المقدونيون والإغريق مع أرض وموارد الإمبراطورية الفارسية المنهارة، لكنهم فقدوا إلى درجة معينة الدلالة المميزة لما يعنيه أن يكون المرء إغريقيًا .

"الثقافة الهيلينية بقيت إغريقية في اللغة والعادات وخاصةً في الهوية"، هذا ما كتبه عالم التاريخ القديم أرنالدو موميغليانو قبل أكثر من أربعين سنة. إنه على صواب، لكن مع مرور الوقت تغير التصور عمَّا كانت تعنيه كلمة "إغريقي". "اليونان القديمة" كانت الزاوية الجنوبية لشبه جزيرة البلقان المحاطة بالماء والقاحلة نسبياً. "اليونان القديمة" كانت الموطن الروحي لعدد لايحصى من البشر الذين سكنوا العالم القديم، والذي امتد من المحيط الأطلسي إلى نهر السند، والكثير منهم لم يروا يوماً اليونان القديمة الحقيقية. فقط بهذا الإفتراض يحصل المصطلح الهيلينية على قيمته كتصنيف تحليلي .

بدأ نجم الإمبراطورية السلوقية بالإنخفاض بعد وقت قصير من تأسيسها. فلقد تألفت من أجزاء غير متجانسة، وكان من الصعب أن تبقى متماسكة حتى بقوى دفاعية كبيرة. الكثير من السلالات الحاكمة في الشرق الأقصى فضلت أن تختار طريقها الخاص فور سماح الفرصة بذلك. كان هذا هو الحال على الأقل في الهند وآسيا الوسطى والمرتفعات الإيرانية، لكن أيضاً في آسيا الصغرى خلال فترة قصيرة بعد وفاة سلوقس الأول في عام ٢٨١ قبل الميلاد. محاولة الملك أنطيوخس الثالث (٢٢٣-١٨٧ قبل الميلاد) التزام نموذج حملة الإسكندر في استعادة السيطرة السلوقية على بارثيا، باكتريا والهند، نالت إعجاب العالم الإغريقي، لكنها كانت سياسياً فشلًا كبيرًا. بسبب الإضطرابات الداخلية التي إبتليت بها هذه الإمبراطورية في القرن الثاني قبل الميلاد تفتت لتصبح إمبراطوريتين: الإمبراطورية البارثية في الشرق وروما في الغرب. وأخيراً، سقطت الدويلة السلوقية في سورية في يد الملك الأرميني ديكران الثاني (تقريباً ٩٥-٥٥ قبل الميلاد) وأصبحت إمارة العملاء، وذلك قبل أن يضمها الجنرال الروماني بومبيوس لتصبح المقاطعة السورية التابعة للإمبراطورية الرومانية في عام ٦٣ قبل الميلاد .